"تعليمية التعبير في المدرسة الجزائرية –دراسة تقويمية في المرحلة الابتدائية"

أ.د. عبد الحليم بن عيسى
جامعة السانيا، وهران– الجزائر

1– تقديم:

عرفت المدرسة الجزائرية منذ الاستقلال إصلاحات جديدة، كانت غايتها طرح البرامج المناسبة التي ترقّي العمل التربوي في مختلف المستويات التعليمية. وقد طالت هذه الإصلاحات "تعليمية اللغة العربية"، والتي سعى فيها التربويون إلى اقتراح المقرّرات والمناهج التي من شأنها أن تسهم بفعالية أكثر في تمكين المتعلِّم من الاستعمال الصحيح والسليم والفعّال للعربية. وقد تُرجمت هذه المناهج التربوية بتقديم الأنشطة التعليمية التي تسهم في ذلك، وكان "التعبير" من أهمها وأبرزها نظرا لأهميته وقيمته في اكتساب اللغة.

ولكنّ المطَّلع على "**تعليمية التعبير**" في مختلف المستويات التعليمية يلاحظ أنّها لم تحقق كل الأهداف المنوطة بها؛ لأنَّنا، وبكل بساطة، نجد المتعلم لا يمتلك القدرة على ارتجال الحديث، ولا حتى على كتابة أبسط العبارات بلغة سليمة وصحيحة، أما أن تكون بلاغية فهذا من المستبعدات. ومداخلتنا تبحث في هذه الإشكالية؛ نبحث فيها بدايةً في مقتضيات تعليمية مهارة التعبير بشقيه الشفهي والكتابي، ثم نقف على واقع "تعليمية التعبير" في التعليم الابتدائي؛ والذي غالبا ما يتم بالانطلاق من صورة جامدة، تأتي في نهاية كل وحدة تعليمية، ثم نقدِّم بعض الآراء العلمية التي نستدرك من خلالها بعض الهفوات التي يقع فيها معلّم التعبير،

مستفيدين في كل ذلك مما توصّلت إليه الدراسات الديداكتيكية من جهة، ومن النتائج التي قدَّمتها اللسانيات التطبيقية من جهة أخرى.

2-ماهية التعبير:

"التعبير" في اللغة يعني الإبانة والإعراب عمَّا في الأذهان من أفكار أو مشاعر أو أحاسيس، يقول ابن منظور: «**وَعَبَّرَ عمَّا في نفسه: أَعْرَبَ وَبَيَّنَ، وَعَبَّرَ عنه غيره: عيِيَ فَأَعْرَبَ عَنْه، والاِسْمُ العِبْرَةُ والعِبَارةُ والعَبَارةُ. وعبَّرَ عن فلان تكلَّم عنه، واللِّسانُ يعبِّرُ عما في الضمير**»[1].

أما في الاصطلاح التربوي فهو النشاط المدرسي المنهجي الذي يمكِّن المتعلم من القدرة على الكلام أو الكتابة في موضوع معين انطلاقا من وضعية معينة وتحقيقا لكفاءة محدَّدة. وقد ورد في المنهل التربوي أنّ "التعبير **Expression**" هو «نشاط تربوي أساسه نقل أفكار أو مشاعر أو مواقف بوسائل معينة قد تكون هي الجسم أو اللون أو اللغة، وهو نشاط متصل بالإبداعية والابتكار، يكون أصيلا وفرديا، والتعبير عما نقل، لأنه يقوم على تواصل بين مرسل ومتلقٍ، وموضوعه الأفكار في مجال المعارف، والمشاعر في مجال الوجدان، ووسائله هي الجسد والحركة كما هو الأمر في التعبير الجسدي... أما القصد بالإبداعية فتفيد كل إنتاج خضع لسيرورة الابتكار، وتتميز بأصالته وابتكاريته وترجمته للذات»[2].

فأساس تعليمية "التعبير" هو اكتساب المهارة التي تمكِّن المتعلم من المحادثة أو الكتابة في الموضوع المعين بكل طواعية وإبداعية، ولهذا فهو نشاط ذاتي يقوم به المتعلِّم انطلاقا من تفاعله الإيجابي مع المعلِّم باعتباره المنظِّم لهذا النشاط والموجِّه له أيضا. ولهذا فهو عمل منهجي ينظِّمه المعلِّم لفائدة المتعلِّم حتى يمتلك القدرة على ترجمة أفكاره وأحاسيسه ومشاعره ومشاهداته والأحداث المحيطة به

إلى لغة سليمة وصحيحة، وذلك بأن يستعمل الألفاظ والعبارات والفقرات وفق علاقات ونسق فكري ولغوي يقتضيه الاستعمال اللغوي من جهة، ويتلاءم مع السياقات المعبَّر عنها من جهة أخرى.

3- مقتضيات تعليمية التعبير:

"التعبير" في جوهره نشاط تربوي مركب يقتضي تفاعل مجموعة من العمليات الذهنية؛ والتي تتجلى من خلال القدرات الآتية:

-القدرة على إدراك طبيعة الموضوع المراد التعبير عنه، واكتشاف عناصره التي تتعالق به، وهنا نشير إلى أنّ مهارة التعبير تبدأ من فكرة أو تصور أو إحساس معين أو حادثة ما تدفع المتعلم لأن يعبّر عنها ويترجمها إلى نسق لغوي قائم على توظيف الألفاظ والتراكيب وحتى الفقرات التي تمكِّنه من احتواء عناصر المعبّر عنه، وبالتالي تحقيق الغايات المقصودة.

- القدرة على تمثّل المعارف التي تتصل بعناصر الموضوع المعبّر عنه، ويُشترط ههنا توافر المرجعية الثرية والمتعددة الآفاق حتى تمكن المتعلم من التعبير بكل طلاقة وطواعية.

- القدرة على إدراك طبيعة العلاقات التي تنتظم من خلالها عناصر الموضوع المعين، والتي تكون وفق تراتبية معينة، قد تكون منطقية أو علِّية أو استقرائية أو غير ذلك، وهذا ما يساعد المتعلم على تنمية كفاءته التعبيرية التي تتجاوز حدود المعرفة اللغوية لترتهن أكثر باستكناه عناصر السياق ومعطياته.

- القدرة على الإدماج؛ أي على خلق علاقات جديدة تقتضيها الوضعية التعليمية-التعلمية الجديدة، والتي لا تقف عند حدود تمثُّل المعارف السابقة؛ بل لا بد من صياغتها ضمن معطيات جديدة يعمل من خلالها المتعلم على تركيب نص تعبيري إبداعي يتجاوز المتداول لديه.

وانطلاقا من هذه العمليات نلاحظ أنّ "تعليمية التعبير" تقتضي من المعلِّم اعتماد الإستراتيجية التي تجعل المتعلم ينخرط إيجابيا في ترقية مهارة التعبير، والتي تقوم على خطوات تربوية مضبوطة؛ منها ما يتعلّق بالتعليم، ومنها ما يرتبط بالتعلّم؛ **فالأولى**؛ أي "خطوات التعليم"[3]: تعتمد على:

1- إعداد الوضعية التعليمية النشطة والفعالة، والتي تثير الحاجة إلى التعبير لدى المتعلمين. وإذا ما اطّلعنا على طرق تعليم التعبير في المرحلة الابتدائية كعملية إجرائية فإنّنا نلاحظ أنّ المدرِّس في الكثير من الأحيان لا يعطي الأهمية المنوطة لمقتضيات طريقة المقاربة المعتمدة في التدريس (المقاربة بالكفاءات)، مما يؤثِّر سلبا في استجابات المتعلمين.

2- دعم استجابات المتعلِّم وتوجيهه وترشيده من غير تدخل مباشر في ذلك؛ وكل ذلك من أجل ترك المبادرة والحرية له، وبالتالي تعزيز الثقة في النفس.

وهنا نشير إلى أنّ دور المعلم أساسي وضروري؛ إذ لا بد أن يتدخل وفق منهجية مضبوطة تكون مستندة إلى ما قدّمه المتعلم فيتدخل بأن:

* يعمل على توسيع استجابات المتعلِّم اللغوية؛ وقد يتم هذا التوسيع بالشرح والتفسير والمناقشة والإضافة، وقد يتحقّق بتقديم الشواهد والأمثلة والحجج[4]. والغاية ههنا هو تقريب الفكرة إلى المتعلم، وإضافة معلومات جديدة، وإثراء المرجعية المعرفية له.

* يعمل على تحليل أفكاره بغية تنبيه المتعلم إلى ما هو أساسي ضمن الموضوع المعين وما هو غير ذلك.

3- العمل على مراقبة استجابات المتعلِّم وطرح المساعدات غير المباشرة التي تعطي الإجابات له؛ بل لا بد من تبصير المتعلم إلى هفواته وتنشيط المبادرة الفردية لأن يكتشفها، وبالتالي اكتساب طرائق المعالجة ذاتيا.

أما **الثانية**؛ وهي خطوات التعلم"، فتقوم على ما يلي:

– دفع المتعلم إلى التفكير في الموضوع المعين وخلق الدافعية التي تجعله ينخرط إيجابيا في العملية التعليمية التعلمية، وذلك باستدراجه وإثارة قريحته، فيستجيب لتداعيات الفكرة المعالجة.

– أن يتصوّر المتعلِّم موضوع تعبيره في صورة أصلية وذاتية.

– أن يجسِّد المتعلم أفكاره وأحاسيسه في نسق لغوي وفكري ما، انطلاقا من رؤية معينة تمكِّنه من الاستخدام الفعال لكفاءته التعليمية.

معنى هذا أنّه من الضروري في العملية التعليمية العمل على تدريب هذه القدرات وتنشيطها وترقيتها بما يمكّن من خلق الفعالية لدى المتعلم في التعامل الإيجابي مع مستدعيات هذه المهارة.

4– المقرّر التعليمي وتعليمية التعبير:

تعدّ تعليمية التعبير من أهم الأنشطة التي تقوم عليها العملية التعليمية للغة، باعتبارها تُظهر مدى تحصيل المتعلم للمعارف التربوية من جهة، كما تعكس مدى تفعليه لمختلف قدراته وكفاءاته التعبيرية من جهة أخرى.

ولا يمكن إنكار أهمية هذه المهارة في تعليمية اللغة؛ فهي الأساس الذي يقتضيه اكتساب مختلف المهارات اللغوية. ولذا نعتقد أنّ السرَّ في الضعف اللغوي الذي نلحظه على متعلِّمينا في تعليمية اللغة العربية أو بقية اللغات يعود إلى هذا النشاط؛ إذ لابد أن نعطيه الاهتمام الأكبر؛ وبخصوص عند معلِّم اللغة بإعطائه التركيز الكبير على ضرورة خلق الدافعية لدى المتعلِّمين على التعبير، ومراعاة الفروق الفردية بينهم، ومحاولة ترقية لغتهم بما يشجعه أكثر على الانخراط في هذا النشاط.

وقد لا نبالغ إن قلنا إنّ نشاط التعبير هو جوهر تعليمية اللغة على أساس أنّ كل الأنشطة الأخرى غايتها خدمه هذه المهارة.

ولكنّنا بعد اطِّلاعنا على هذا النشاط في مختلف المستويات فإننّا سجّلنا عليه بعض الملاحظات منها:

أولا–غالبا ما يتم تدريس التعبير في مختلف المستويات التعليمية انطلاقا من النص التعليمي المقرّر في الوحدة التعليمية؛ إذ بعد تقديم بعض الأنشطة التي تتعلّق بالرصيد اللغوي واكتشاف معطيات النص ومناقشتها، وتقديم قواعد اللغة والبلاغة تأتي مرحلة إحكام موارد المتعلم وضبطها؛ أي التعبير عن موضوع معيّن؛ إما باستثمار معارف النص المقرّر، أو بالنسج على منواله كونه يلتقي معه في المحور.

ففي الطور الابتدائي يأتي التعبير في نهاية كل نص على صيغة "أعبِّر"، و"أتدرّب"، فالأمر المقبول أن التلميذ لا يعبِّر إلا بعد أن نقدِّم له محتوى معرفيا معينا، ثم ندعوه مباشرة لأَنْ يستثمر ذلك من أجل –مثلا– تصوّر نهاية أخرى لقصة ما، أو تصرُّف آخر حيال موقف ما، أو تقديم وصف آخر بدلا لما قُدِّم، أو غير ذلك من الأنشطة التعبيرية التي تراعي ما قُدِّم للمتعلم.

ولكن هناك موضوعات تعبيرية كثيرة قد لا يُعتمد فيها على ما ورد في النص، وهذا مقبول أيضا لكن بشرط أن يكون الموضوع المقدَّم له مرجعية معرفية عند المتعلِّم، ففي كتاب السنة الخامسة من التعليم الابتدائي هناك بعض الموضوعات التي يصعب التعامل معها لغياب المرجعية؛ مثل التعبير الذي يتعلَّق بالنص المعنون بـــ"الوعد المنسي"[5]؛ إذ يفتقر التلميذ للمعلومات التي تخص حياة الهنود الحمر الذي يدور حولها الموضوع. وكذلك في "قصة قرية"[6]؛ إذ يُطلب من التلميذ أن يتخيّل نفسه لو أسس جمعية ما؛ فما هي الخدمات التي قد يقدِّمها؟!

وكذلك في "إسحاق نيوتن والأرض"، حيث يُدعى إلى التعبير عن شخصية كان لها اكتشاف وأعمال هامة.

فالمرجعية المعرفية حينما تتوافر للتلميذ تقوّي لديه الدافعية بما يجعله ينخرط في الفعل التعلّمي المقترح، وبالتالي تحقيق الأهداف المنوطة بذلك. وهنا نشير إلى أنّه صحيح أنّ "تعليمية التعبير" منفتحة على تعليمية النص الذي يستمد منها مادة اشتغاله، ويحوّلها إلى سلوكات تواصلية، ويتآزر معها لتحقيق الأهداف العامة للغة العربية في مختلف المراحل التعليمية، ولكن بالإضافة إلى ذلك فإنّ "التعبير" نظام مفتوح على النظام الخارج لساني بما هو محيط سوسيو-ثقافي للمتعلم خاصة؛ لأننا اخترنا من جهة نظر تواصلية التعامل مع اللغة باعتبارها معطى اجتماعيا لا يمكن فصله نهائيا عما تزخر به الحياة العامة التي ينتمي إليها من تقاليد وعادات ومعتقدات وأنماط للسلوك والتفكير، وهي كلّها أنظمة قيمية لا بد من التفاعل معها والانفتاح عليها؛ لأنّ «مادة التعبير في هذه الحالة لم تعد فقط هي تلك اللغة بالمعنى السوسيري أو الكفاية التشومسكية، ولكنها "الكلام" و"الإنجاز"، فالمتكلم الذي نريده لم يعد "مثاليا"، ولكنه "واقعي"»[7].فالتعبير ليس تكرارا لما قد يحصله التلميذ انطلاقا مما قد يُبسط له في النص التعليمي المبرمج في الوحدة التعليمية؛ ولكنّه أكثر من ذلك؛ إذ يتعلق في جوهره بكيفيات ترقية أشكال التواصل التي تستدعيها مختلف أشكال الخطابات التي قد يريدها المتعلم.

ثانيا-النمطية؛ أي أنّه يجري على نمط واحد؛ حيث تأتي دائما حصص التعبير على شكل أسئلة موجهة للمتعلِّمين يطلب منهم الإجابة عنها؛ إما انطلاقا من النص المدروس في حد ذاته، أو بالاعتماد عليه، وهذا شيء مقبول إلى حدٍّ ما؛ غير أنّه قد يحد من إمكانات التلميذ فلا يفسح له المجال أكثر للتجاوز وإثارة أفكار وعبارات أخرى قد لا تكون مما ورد في النص.

ثالثا–أنّ الكثير منها، من حيث طبيعتها، لا يتلاءم مع طبيعة المعارف المتداولة لدى المتعلم من جهة، ومستواه من جهة أخرى قد نمثّل لذلك بالنص المعنون بـــ"التلميذة الجديدة"[8]، والذي ورد في محور "المدرسة" من "رياض النصوص للسنة الثالثة ابتدائي"، حيث يُطلب من التلميذ أن يعطي الإجابات عن الأسئلة الآتية:

- مَا اِسْمُ مَدِينَتِك؟
- أين تقع مدينتك بالنسبة إلى الجزائر العاصمة؟
- ما هي الحيوانات التي تجدها في جنوب البلاد؟
- ماذا يحد شمال الجزائر؟

وهذا ما تجسده الصورة الآتية:

ونعتقد أنّ المتعلم في هذا المستوى (الثالثة ابتدائي) قد لا يستطيع أن يحدّد بدقة موقع مدينته وحدودها وجهاتها، ثم إنّ النص المطروح في الوحدة التعليمية لم

يعطيه المعلومات الكافية عن الجهات الأربعة بما يمكنه من ذلك، ثم حتى الخريطة المعتمدة تحتاج إلى توضيح أكثر.

رابعا–اعتمادها في بعض الأحيان على صور جامدة لا تحدِّد بدقّة الوضعية التعليمية–التعلّمية التي من شأنها أن تدفع المتعلِّم لأن يكتشف المعارف التي من شأنها أن تحقِّق الكفاءة المستهدفة، قد نمثِّل لذلك بالصورة الآتية[9]:

أعبّـر

1. أَيْن يوجَدُ هَؤلاءِ الْأَطْفال ؟
- ماذا يَفْعَلونَ ؟
- كيف هي الْأَشْجارُ والسَّماء ؟
- ما لَونُ الْأَوْراق ؟
- ما هي مَظاهِرُ فَصْلِ الْخَريف ؟
- هل تُحبُّ هذا الْفَصْل ؟

2. اِسْتَعْمِلْ يَمينًا وشِمالاً حَسْب النَّموذَج :

" تَتَراكَضُ الْأَوْراقُ يَمينًا وشِمالاً "

الوحدة 3 19

وهي صورة غير ملمّة بمقتضيات المعارف التي تقتضيها الأسئلة المطروحة (أين يوجد هؤلاء الأطفال؟ (المكان)، ماذا يفعلون؟ (النشاط الذي يقومون به)، كيف هي الأشجار والسماء؟ ما لون الأوراق؟ ما هي مظاهر فصل الخريف؟ هل تحب هذا الفصل؟)

خامسا-البعض من المادة التعليمية المقترحة في المرحلة التعليمية المعينة، وحيث يطلب من المتعلمين التعبير عنها، لا تتلاءم مع مستواهم، قد نمثِّل لذلك بالنماذج الآتية:

- المحتوى المعرفي المبسوط في كتاب السنة الأولى ابتدائي بعنوان "رضا يحب وطنه"[10]، حيث كان الاعتماد كليّاً على "الخريطة"؛ إذ بعد دراستنا الميدانية لاحظنا الصعوبة البالغة التي يواجهها التلميذ كي يفهم ما معنى الخريطة؟ وطبيعتها، وغير ذلك من الأسئلة التي تثبِّط عزائمه للاستيعاب.

- المحتوى المعرفي المقرّر في السنة نفسها بعنوان "في نادي الأنترنيت"[11]، والذي يتحدث فيه الكاتب عن "علبة الرسائل"! وقد لاحظنا أنّ التلميذ في هذا المستوى لا يعرف حتى الرسائل الورقية، ولا "لوحة المفاتيح"، ولا "مقام الشهيد".

- المحتوى التعليمي المقدّم للسنة الثانية الابتدائي بعنوان "الجزائر تتحدَّث" بالاعتماد على خريطة الوطن، حيث لاحظنا أنّ قدرات التلميذ لم تسعفه ليدرك ماهية الكرة الأرضية، والمواقع وجهات الوطن وطبيعة السلّم البياني، وغير ذلك من المعطيات التي لا تشجِّع التلميذ حتى يدرك أهداف الدرس.

- المحتوى التعليمي المقدَّم للسنة نفسها بعنوان "حوار الحواس"[12]، والذي لا يتلاءم أيضا مع قدرات المتعلمين، وقد لاحظنا الصعوبة البالغة التي يجدونها في إدراك ماهية الحواس وطبيعتها.

- المحتوى التعليمي المقرر للسنة نفسها أيضا بعنوان "معركة ضد الميكروبات"[13]؛ والذي يصف مكوِّنات الدم والفرق الوظيفي بين الكريات البيضاء

والكريات الحمراء، حيث لاحظنا أنّ المتعلم في هذه المرحلة يصعب عليه اكتشاف هذا الفرق.

بالإضافة إلى الكثير من المحتويات التي أكّد لنا من خلالها المعلمون أنّها بعيدة كل البعد عن الواقع الذي ينتمي إليه المتعلم من جهة، ثم إنّها لا تلائم مستواها وقدراته الإدراكية.

5- أساليب تنمية مهارة التعبير:

بعد تقديمنا لأهم الملاحظات التي لاحظناها على المقررات التعليمية المعتمدة في "تعليمية التعبير" في مختلف المراحل التعليمة التي أقرتها المدرسة الجزائرية، حري بنا أن نطرح بعض الأساليب التي قد نستدرك بها هذه الملاحظات، وفي هذه المناسبة نشير إلى أنّه لابد من التركيز على مقتضيات هذه المهارة وتقنياتها؛ لأنّ التعبير هو أولا وقبل كل شيء تقنية أو بالأحرى منهجية، ولهذا فهي تقتضي اكتساب مقتضيات هذه التقنية، وهي متنوِّعة ومتعدِّدة، تستدعي الأخذ بعين الاعتبار المبادئ التالية:

أ- ما يتعلق بالمعبّر عنه وهو أصناف،

ب- ما يتعلق بطبيعة اللغة،

جـ- ما يرتبط ببناء التعبير وتراتبيته وعلاقات أجزائه.

وهذه المبادئ تقتضي تمكين المتعلم بما تقتضيه هذه المبادئ، وهي تقوم في جوهرها على ما يلي:

أولا- إذا ما استحضرنا ما قلناه حينما عرفنا التعبير فإنّنا سندرك أنّ طبيعة التعبير تقتضي إنشاء خطاب/نص (شفهي/مكتوب) حول أفكار أو أحداث أو أحاسيس أو غير ذلك، ومعنى هذا أن طبيعة التعبير ستتنوع بحسب المعبّر عنه، وعليه فالتعبير لا يجري على نمط واحد؛ بل هو أصناف، ولذا لابد من الأخذ بعين الاعتبار هذه الأصناف والعمل على تعريف المتعلم بخصوصيات كل صنف، وتدريب المتعلم إجرائيا كيف ينشئ التعبير الوصفي والتعبير السردي والتعبير الحواري الحجاجي، والتعبير الأدبي والتعبير الإعلامي وغير ذلك.

وإذا ما اطَّلعنا على طبيعة النصوص المقرّرة في العملية التعليمية للغة عبر مختلف المستويات التعليمية فإنّنا نلاحظ أنّها تتنوع هي الأخرى بحسب هذه الأصناف، حيث نجد كل مستوى يتجسد انطلاقا من مشاريع كتابية معينة، ومنها تتحدّد طبيعة النصوص التي قد تخدم كل مشروع على حدة[14]، وكل ذلك يدعو المعلم لأن يعرِّف المتعلم على خصائص كل صنف وتقنياته، والتي قد نوضِّحها وفق ما يلي:

أ-**التعبير السردي (الحكائي):** وهو تعبير يقوم على السرد (الحكي) وفق كيفية معينة، ويعمل من خلاله المتعلم على تمثّل وقائع سابقة أو تخيل أحداث ما وسردها بطريقة محدّدة.

ب- التعبير الوصفي: ويغلب على التعبير هنا طابع الوصف ونقل الأفكار والآراء كما هي، إذ يعمد المتعلم إلى تشخيص الأشياء الموصوفة وعرض ما هو موجود في المحيط الخارجي.

جـــ- التعبير الإعلامي: يقوم على نقل الأحداث وتبليغ المعلومات وفق بناء لغوي قائم على الوضوح والأسلوب المباشر، واحتواء الحدث من غير مراوغة أو تضليل.

د- التعبير البرهاني الحجاجي: يغلب عليه طابع البرهان، ويطرح من خلاله المتعلم وجهة نظريه، ويعمل على تبريرها والدفاع عنها بعرض الحجج والأدلة عليها.

ولابد ههنا من تمكين المتعلِّم بما تقتضيه مقتضيات هذه الأصناف؛ التعبيرية اللغوية من جهة، والمنهجية البنائية من جهة أخرى، فالتعبير السردي يقتضي تعريف المتعلِّم بتقنيات القص القائمة على الانطلاق من حالة بدء بتقديم معلومات حول المكان والزمان والشخصيات التي تدور حولها الأحداث، ثم الحبكة انطلاقا من سرد أحداث وفق تتابع منطقي للأحداث بما يفضي إلى غايات محدّدة. أما التعبير الوصفي فيستدعي من المعلِّم بسط أساسيات الوصف القائمة على المباشرة والإحاطة بالموضوع المراد وصفه، وكذلك الحال مع بقية الأصناف التعبيرية.

وضمن كل هذه الأصناف يأتي التركيز على تقنيات التعبير، والتي تستدعي مراعاة الأنشطة التالية:

1- تقديم الأنشطة التي من شأنها تمكِّن المتعلِّم من وضع التصميم الدقيق للموضوع المعيّن؛ اعتمادا على نقطة انطلاق معيّنة، ثم بسط الأفكار وفق تراتبية معينة، ووصولا إلى غايات مضبوطة.

2- تعريف المتعلِّم بمقتضيات شكل التعبير ونسقه ونسجه؛ والقائم على استخدام الألفاظ المعينة وفق توالٍ تركيبي معيّن، وفي فقرات محدّدة. ولابد من أن نعرِّف المتعلم بكيفيات خلق التناسق والانسجام بين حلقات التعبير (عباراته وفقراته)؛ فعلى مستوى العبارات نعلِّمه كيف يكوِّن الجملة؛ اسمية كانت أو فعلية أو ظرفية أو غيرها، ثم كيف يستعمل أدوات الوصل أو الفصل بحسب مستدعيات الموضوع، وكيف يستخدم الضمائر والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة وعلامات التنقيط، ومختلف العلاقات التعبيرية. كما نعلِّمه كيف يكوِّن الفقرة؛ باعتبار أنّها تقوم على فكرة أساسية، ثم تقديم الأفكار التوضيحية التي تتعلّق بها وفق علاقات استدلالية أو استقرائية أو حكائية قد تقوم على السرد أو الشرح أو التمثيل أو التدليل أو المقارنة أو غير ذلك بحسب طبيعة التعبير المعتمد.

3-تعريف المتعلِّم بكيفيات بناء التعبير اللغوي، والتي تستدعي من المتعلم الدقّة في اختيار الألفاظ وتوظيف العبارات التي تلائم بنائية التعبير، قد نوضِّح ذلك بالتركيز على ما يلي:

* فعبارات البدء تقتضي استخدام ما يلائم الاستهلال منها؛ بادئ ذي بدء، قبل كل شيء، بدايةً، أولا...إلخ.

* عبارات الشرح والتفسير: ومنها، وهذا يعني، وبتعبير آخر، وهكذا الأمر، لا سيما ...إلخ.

* عبارات الاعتراض والتناقض: منها ولكن، وفي المقابل، إلا أنّ، والأحرى، غير أنّ، ومع ذلك، بيد أنّ، وفي الواقع...إلخ.

*عبارات التعليل والسببية: منها؛ بسبب ذلك، بناء على، نتيجة ذلك، لأجل ذلك، ومن ثم، وبالتالي، وعليه، وعندئذ، ومن هنا، إذن، لأن، وبما أنّ، وهذا يعني أو لا يعني...إلخ.

وغيرها من العبارات التي تستخدم بحسب الغايات التعبيرية المقصودة.

4- طرح الطريقة الأمثل التي تمكِّن المتعلِّم من تمثّل المعارف التي من شأنها أن تغني موضوع التعبير، وذلك باستغلال المعلومات السابقة واعتمادها ضمن التعبير الجديد، وهنا نشير إلى فعالية بناء التعبير تتَّضح إذا ما استطاع المتعلم توظيف معلوماته وتطعيمها للموضوع الذي يريد التعبير عنه؛ إذ كثيرا ما يطلب منه: أن ينسج على مناول النص المقدَّم له سرديا كان هذا النص أو وصفيا أو إعلاميا أو غير ذلك، أو أن يتخيَّل نهاية أخرى للنص، أو إعطاء توضيحات وتعليلات واقتراحات وآراء أخرى بناء على تجربته، ومعنى هذا أنّ المعلم مدعو لأن يعرف المتعلم كيف يفعّل معارفه السابقة، فيتدخل بأن يعطيه مفاتيح ذلك، وذلك بأن يشير إليه بما يكون قد تلقّاه ضمن المواد الأخرى كالتربية المدنية أو التربية الإسلامية، بالإضافة إلى علاقاته في أسرته وفي محيطه ككل.

5- تقديم تقنيات المعالجة الذاتية للموضوع المعيّن؛ ويكون ههنا للمعلِّم الدور الرئيسي، وذلك بأن يناقش مع المتعلم آليات هذه المعالجة، والتي يجب أن تكون نابعة من الذات وفق تصميم قائم على رؤية أكثر علمية وموضوعية؛ إذ غالبا ما يطلب في حصة التعبير من المتعلِّم أن يعطي رأيه الشخصي، أو أن يفسِّر إحساسه اتجاه قضية ما[15]، وفي ذلك مدعاة إلى تعلّم تقنيات تقديم الرأي، وهنا نشير

إلى أنّ تقديم الرأي لا يتم إلى بالارتكاز على فكرة محدّدة سلفا، أو من رأي سابق؛ ولذا لابد من الاكتساب التقنيات الآتية:

*توضيح الرأي أو تأكيده أو تصحيحه؛ وذلك بتقديم الأفكار والتصورات التي تدعم ذلك استناد إلى المحيط ومستلزماته، ولكن دائما بحسب طبيعة التعبير (سردي، وصفي، برهاني...).

* تقنيات المقابلة والمقارنة بين الآراء بطرح وجهات النظر المختلفة والعمل على الموازنة بينها وفق طرح تراتبي مما يفضي في الأخير إلى الاستنتاج أو طرح الرأي الأقوى والأهم.

* تقنيات التعليق والتفسير والتحليل مع القدرة على استخدام الألفاظ والعبارات التي تربط بين الفكرة الأساسية والعناصر التي ترتبط بها.

* تقنيات الاستشهاد والتمثيل.

ثانيا– تقديم النصوص التعبيرية التي ترقي هذه المهارة، وقد أشار محمد الأوراغي إلى بعض الأنشطة التربوية التي من شأنها أن ترقّي كيفيات التعبير والنسج اللغوي لدى المتعلِّم، وهي:

أ– تلقين ما يحتمله نسق العربية من الأساليب حتى يعرف المتعلم كيف ينشئ الكلام، ولِمَ ينتجه على أحد الوجوه المحتملة.

ب– التدريب على معارضة المنتقى من التراكيب، وينحصر إنجاز هذا النشاط في إفراغ العبارة المتخيرة من محتواها مع الاحتفاظ ببنيتها بهدف توظيفها من جديد للتعبير عن محتوى دلالي من إنشاء المتعلِّم. ويستمر التدريب على إنشاء

أغراض كلامية مختلفة في كل مرة بواسطة بنية تركيبية واحدة، فترتقي الملكة اللغوية لدى المتعلم إلى أعلى مستويات العبارة، ومع ذلك لا تصل عند أحد إلى درجة الإعجاز البياني[16].

جـــ- ونضيف معه تدريب المتعلم على الإنتاج على نسق المبدعين البارزين حتى تكون له القدرة على تمثُّل أسلوب معين، وبالتالي القدرة على التميز مستقبلا بأسلوبه الخاص.

وكل ذلك يسهم في تنمية مهارة التواصل الشفهي والكتابي، وبالتالي تجاوز كل الإشكالات التي قد تعيق المتعلم في ذلك. ولذا يُفترض في الدرس الذي يجري في قاعة الفصل لترقية هذه الملكة أن يحاكي ما يشيع في المجتمع من تخاطب عفوي بين أفراده، ولتحقيق ذلك لابد من مراعاة ما يلي:

أولا- أن يكون موضوع الدرس لا يختلف في شيء عن الموضوعات اليومية التي تنال من اهتمامات المتعلمين في وسطهم الاجتماعي.

ثانيا- أن يبنى موضوع الدرس بناءً حواريا يدور بين شخصين أو أكثر في موضوع مرتبطا بهم في حياتهم اليومية[17].

ولكن هذا لا يعني البقاء في حدود المتداول في اللغة؛ بل لابد من ترقية ذلك انطلاقا مما قد يبدعه المتعلِّم ذاتيا في إطار مطالعته الخاصة واجتهاداته الشخصية.

خاتمة:

لعلنا نكون قد لاحظنا من خلال هذه المطارحة العلمية أن أساس تعليمية التعبير هو تمكين المتعلِّم من المقتضيات التعبيرية التي تجعله يكتسب آليات إنتاج الكلام بما يلائم الموضوع المعيّن من جهة، وبما يتلاءم مع طبيعة التعبير في حدِّ ذاته من جهة أخرى. ثم إنّ تنمية هذه المهارة يستدعي من التربويين طرح الأنشطة التعليمية التي تسهم بفعالية في بناء المرجعية المعرفية واللغوية التي تنمِّي كفاءة المتعلِّم التعبيرية، والتي لا تقف عند حدود المعرفة بالألفاظ أو العبارات المحفوظة؛ بل إنّ أساس التعبير الخلاّق يرتهن بمعرفة آليات التفكير وتأليف النسق اللغوي الذي يعطي للمتعلّم القدرة على إنشاء العبارات والفقرات بما يمكنه من احتواء الأفكار المراد التعبير عنها من جهة، وبما يحقِّق المقاصد من جهة أخراة.

ويتّضح أيضا أنّ الهدف من "تعليمية التعبير" لا يقتصر على مراقبة مدى ملاءمة وانسجام الألفاظ والمعاني والجمل والفقرات التي أنتجها المتعلِّم؛ بل يقتضي شحذ كفايته التعبيرية التي تمكِّنه من اكتساب آليات بناء التعبير من: التحليل والترتيب والتركيب والإضمار والاستشهاد والحجاج، وكل ذلك بحسب طبيعة الموضوع المعبَّر عنه من جهة، وانطلاقا مما تقتضيه الأغراض والمقاصد من جهة أخراة.

المصادر والمراجع:

- التواصل نحو مقاربة تكاملية للشفهي، د.الحسين الزاهدي، الدار البيضاء أفريقيا الشرق، 2011.

– خصائص العربية وطرائق تدريسها، د.نايف معروف، بيروت، دار النفائس، ط1998/5.

– ديداكتيك التعبير والتواصل واستراتيجيات التعلم، د.علي آيت أوشان، الرباط دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2011، ص68.

- كتابي في اللغة العربية السنة الأولى من التعليم الابتدائي.

- كتابي في اللغة العربية السنة الثانية من التعليم الابتدائي.

– كتابي في اللغة العربية، السنة الثالثة من التعليم الابتدائي.

- كتابي في اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي.

- كتابي في اللغة العربية السنة الخامسة من التعليم الابتدائي.

– لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، ط2.

– المنهل التربوي، د.عبد الكريم غريب، الدار البيضاء مطبعة النجاح الجديدة، ط2006/1.

– اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، د.محمد الأوراغي.

الهوامش:

1 – لسان العرب، مادة (عبر).

2 – المنهل التربوي، د.عبد الكريم غريب، الدار البيضاء مطبعة النجاح الجديدة، ط2006/1، 426/1.

3 – ينظر المنهل التربوي، د.عبد الكريم غريب، 426/1.

4 – ينظر ديداكتيك التعبير والتواصل واستراتيجيات التعلم، د.علي آيت أوشان،الرباط دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2011، ص68.

5 – كتابي في اللغة العربية السنة الخامسة من التعليم الابتدائي، ص19.

6 – نفسه، ص55.

7 – التواصل نحو مقاربة تكاملية للشفهي، د.الحسين الزاهدي، الدار البيضاء أفريقيا الشرق، 2011، ص102.

8 – كتابي في اللغة العربية، السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، ص10–11.

9 – نفسه، ص19.

10 – ص143.

11 – ص155.

12 – ص56.

13 – ص58.

14 – يمكن الرجوع في هذه المناسبة إلى كل الكتب المعتمدة لتعليمية اللغة العربية عبر مختلف المستويات التعليمية في المرحلة الابتدائية، قد نمثل لذلك بكتاب السنة الرابعة، حيث قُدِّمت المشاريع الكتابية وفق ما يلي: كتابة نص سردي، كتابة حكاية خيالية، كتابة نص وصفي، كتابة كيفية طبخ، كتابة تعليمات، كتابة بطاقة فنية، إنجاز بطاقة توثيقية، كتابة إعلان، كتابة برنامج، إنجاز مطوية. وتقريبا كل سنة نجدها تعتمد التصنيفات التعبيرية نفسها.

15 – ورد في كتاب السنة الثالثة في حصة التعبير سؤال: كل سنة نحتفل بعيد الفطر وعيد الأضحى ما هو العيد الذي يعجبك؟ ولماذا؟ ص55. وورد في موضع آخر: ما رأيك في سلوك أمين؟ (أمين أصيب نتيجة تناوله وجبة سريعة) ص65. وفي موضع آخر: لو كنت مكان سليمان وأحسست بالألم ماذا كنت تفعل؟ (مرض سليمان وتناول دواء من خزانة الأدوية من دون استشارة) ص69. وفي موضع آخر: كيف تتصرف لو وجدت هذه البنت الصغيرة في هذه الحالة؟ (بائعة الكبريت البائسة والفقيرة) ص87.

16 – اللسانيات وتعليم اللغة العربية، د.محمد الأوراغي، ص178.

17 – اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، د.محمد الأوراغي، ص246.